الإحالة في أسلوب القصص القرآني

د. نوار محمد إسماعيل*

يمثل النص السياق اللغوي لأية وحدة لغوية تمتلك معطيات بناء الجملة من حيث قدرتها على أداء الفائدة المعنوية ومن ثم الدلالية على اعتبار الدلالة مرحلة تالية للمعنى وبالنص تتحقق القدرة على التأثير والإقناع وبتجاوز حدود الوحدة اللغوية التي هي نواة النص يصبح النص قادراً على منح المتلقي إمكانات متعددة للفهم وفضاءات أوجب للتاؤيل، فهو مستوى دلالي يتحقق فيه فعل التواصل، فللنص بعد دلالي تقوم به علاقته مع السياق و أبعاد معرفية اجتماعية تضعه فيها أطر التفاعل الاجتماعي.وتتركز وظيفة النص في قدرته على تحريك أمر ما في ذهن المتلقي لتحويل فعل القراءة إلى فعل إيجابي، ويعلن النص ارتباطه بمعارف خارجة متصلة بأنساق المعرفة والمجتمع والواقع من خلال ما تقدمه بنيات متحركة داخلهُ تجلي البعد الوظيفي والنص القرآني يمتاز "بانه يقدم نفسه بوصفه نصوصا متداخلة في اطار السورة الواحدة كما يقدم نفسه بوصفه نصا واحدا في إطار السور المتعددة "[١]وأن المعنى يتعدد في بنائه نموذجا بتعدد النصوص المتداخلة في إطار السورة الواحدة ،ومن حركة النص الانفتاحية تلك فأن المتلقي يستلهم نصوصاً أخرى يجعلها النص أمامه وهذه الفاعلية التي يحققها النص تلتقي ومفهوم الإحالة التي هي" قدرة الوحدة اللغوية أن ترجع المخاطب إلى شيء موجود في الواقع"[٢].

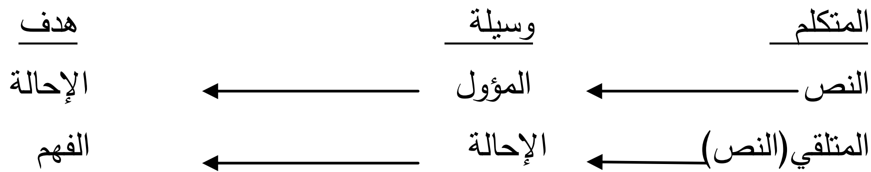
---

* مدرس/ جامعة الموصل/ كلية الآداب . قسم اللغة العربية.

١ اللسانيات والدلالة، منذر عياشي/ ١١٨.

٢ أصول تحليل الخطاب، محمد الشاوش/ ١٢٢.

وتتحقق وظيفة الإحالة بتجاوز النظر في الوحدة اللغوية منعزلة إلى النظر فيها منجزة مجراة في السياق[1] ؛ فالعناصر المحيلة لا تكتفي بذاتها بل تحتاج إلى استكمالها، فقد تنشئ في علاقتها مع البنى النصية وتأثيرها في ذهن المتلقي نظاما إشاريا متعدد الدلالات يستخدم لإحداث الاتصال، فهي حركة تثري النص وتعكس تفاعل العقل مع اللغة، وتقوم الوحدة النصية المحيلة أو العناصر المحيلة بعملية إجرائية تستدعي نصا آخر قصدا أو بدون قصد فيكون هدف النص بعث الأثر في ذهن المتلقي من خلال الثراء الدلالي الذي يحققه المجال الحواري بين العنصر المحيل والعنصر المحال عليه وتتبلور معه حركية الافتراضات التي توجد تعدد الدلالات.



فعملية الإحالة تبني معاني جديدة تتجاوب وعملية التأويل التي بها يتجاوز المتلقي البناء السطحي للنص إلى البناء العميق للوصول إلى الفهم إذ لا تكفيه العلاقات القريبة للجزيئات بل تكمن في قدرة القارئ على توليد دلالات جديدة من خلال اكتشاف علاقات من خارج النص مع نصوص أخرى بعيدة عن سياق القول، فيحقق فعل الإحالة استرجاعاً للمعلومات المخزونة والنصوص التي تتحول إلى الذاكرة البعيدة الأمد، فلئن توافر الفعل المقصدي للنص في الإحالة على نصوص أخرى من خلال ما يثيره النص الحاضر فان هذه العملية تحدث إثراءً للنص، وتحقق التأثير في المتلقي فيسهم النص الحاضر في فهم نصوص سابقة، وإعادة صياغة مفهومها من خلال استدعائها، لذا امتدت حركة المتلقي في تلك النصوص لتتجاوز

---

[1] نسيج النص، الأزهر الزناد / ١٢٤.

مستوى الدلالة الظاهرة للنص إلى أنظمة تتضاعف وتنمو حسب القراءة،وهي بذلك تتعدى التركيب النحوي للوحدة اللغوية إلى وضعها في سياق ذهني، لأنها وحدات بنيوية تتحرك لبناء الكل الدلالي، ولهذا فهي تبني لنفسها سياقا فعالا تتعامل فيه مع السياق السابق واللاحق لينظم هذه الوحدات كلها ويحركها، وهذه الحركة ليست ذاتية التوجه بل هي انفتاحية وقابلة دوما لان تكون منطلقاً قرائياً جديداً.

ففي قوله تعالى:.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ * وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (١)

يستوقفنا قوله تعالى الذي تصدر باستفهام موجه إلى الرسول (ﷺ):﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ *﴾ الاستفهام عن حديث جماعتين أرتكنا إلى المعلوم من امرهم للمخاطبين بعد ما ورد ذكرهما كثيراً في القرآن، لكننا نتساءل عن دلالة اجتماعهما على صعيد سياق مقالي واحد، كما أنهما بدل من لفظة (الجنود) التي تعطي معنى الاستعداد والقوة والشدة، فضلاً عن دلالة الثبات والاستقرار، وتخبرنا النصوص بإن الذي جمعهما هو سعيهما للمطلب نفسه ودفاعهما عنه وهو (الخلود في الارض)؛ فكان معنى وصفهما بالجنود انهما إلتصقا بالارض وتشبثا بها، كما انهما اتفقا في وسائل الدفاع عن رغبتهم تلك ذلك حيث تمثلت ردة فعل فرعون الذي ارسل اليه الله تعالى موسى (عليه السلام) بالبينات والآيات العظام ؛ في اتجاهين، الاول: مادي ملموس تجسد في انتقامه من الذين امنوا لموسى (عليه السلام)، فقد توعدهم

---

(١) سورة النازعات، الآيات/ ١٥-٢٥.

قائلاً﴿فَلاقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾[1][والثاني: معنوي محس في تنصيب نفسه إلها، وذلك لقوله تعالى: ﴿هَلْ أتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى * فَأَرَاهُ الأيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الأخِرَةِ وَالأولَى﴾ [2]،وتقترن ردة فعل فرعون، بردة فعل ثمود الذين ناصبوا نبيهم صالحاً (عليه السلام) العداء وكذبوه، وعندما اختبرهم الله (عز وجل) بأن أرسل إليهم الناقة تمادوا في تحديهم وجسدوا رغبتهم تلك بان اعتدوا على تلك الناقة التي أوصاهم اللهبها على لسان صالح (عليه السلام) ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ * وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ * فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾[3]

صورة لدعوة الرسل إلى الله	الجنود	رموز تمثل اختبار الله لهم	ردة فعل الجنود	صورة لإرادة الله
دعوة الرسول	فرعون	الآيات المتعددة + الآية الكبرى	تعذيب المؤمنين + الاستهزاء ادعاء الألوهية	فأخذه الله نكال الآخرة والأولى
فعل				

[1] سورة طه،الآية /٧٢.

[2] سورة النازعات،الآيات /١٥-٢٥.

[3] سورة القمر، الآيات /٢٧-٣١.

دعوة الرسول	ثمود	الناقة	عقروا الناقة وكذبوا الرسول	أرسل عليهم صيحة واحدة
		تجسيد لصورة الدعوة	تجسيد مادي لاعتراضهم وإعلانهم الحرب	

كلاهما جسد اعتراضه على حكمة الله تعالى ودعوة الانبياء (عليهم السلام) بفعل مادي "فثمود الذين حملتهم الخفة على ان عقروا الناقة بعد رؤيتهم اياها تتكون من الصخرة الصماء غير مجوزين ان الذي خرق العادة بإخراجها ذلك يهلكهم في شأنها" [1].

فيكون وصفهم بالجنود اذن متجانساً مع كون كل من الفريقين قد حارب الله تعالى ورسله (عليهم السلام)،حيث تجسدت نواياهم السيئة بأفعال مادية ملموسة، إلا أن ما يستوقفنا هنا وجود فعل النداء في القصتين ففي قوله تعالى على لسان فرعون ﴿**فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ ويرد سياق فعل ثمود أيضاً قوله: ﴿..**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**﴾ وكأن في فاعلية الحركة التي قاموا بها إشارة إلى تحد صريح، وعدم اكتراث بالدعوة ومن ثم إشراك اكبر عدد من المتلقين بوصفهم محور (النداء) ؛ فيكون للنداء وظيفة أخرى يتحول بموجبها إلى مكون دال على فعل التمرد في المقام الذي ذكر فيه ؛ فكأن دلالة النداء التي تمثلت في إعلان الخطاب (رفع الصوت، غضب وتمرد) حققت ملمحاً إشارياً لإعلان العصيان على معطيات التوحيد التي دعا اليها الانبياء وتحافظ أداة (الفاء) على انتظامها داخل النصوص،

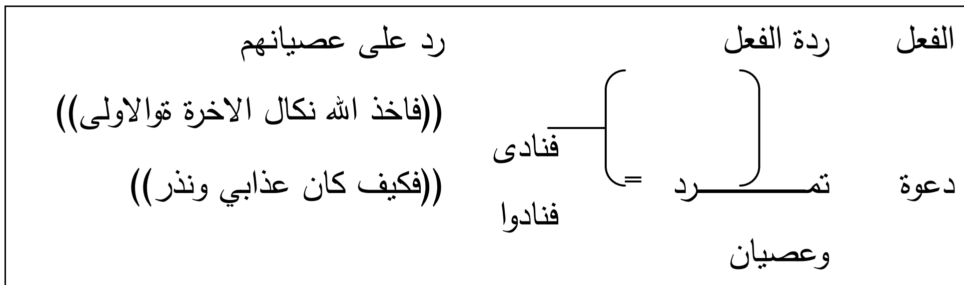
---

[1] نظم الدرر: ٢١/٣٦٤-٣٦٥.

فهي تعطي معنى التعقيب بلا تراخ مما يضيق الحدث ويقربه دلالياً، فالترابط (الفائي) شكل دائرة من خلال ثلاثة أفعال: **(فنادوا – فتعاطى – فعقر)**.

(فحشر – فنادى – فقال انا ربكم الاعلى).

وهذا التكرار الذي تربطه الفاء أدى دلالة السرعة في وقوع الحدث، إذ لا يوجد بين الدعوة والرد من بعده زمن متراخ، بل تبدو الواحدة تلو الأخرى، ثم يأتي رد الفعل على ندائهم وتمردهم بحرف العطف نفسه (الفاء) ؛ لتستكمل ربط الحدث وفق وظيفته الدلالية. العذاب الذي استحقوه، وتحقق دلالة العطف بالواو في وصفهم بالجنود (فرعون وثمود) ان هؤلاء الجنود يشد بعضهم بعضاً على الطغيان، فتكون (الواو) للجمع أي مجموعهما جنود.



"ويقال للعسكر جنود اعتباراً بالغلظة من الجند أي الارض الغليظة، وكذا الاعوان والمراد بالجند هنا الجماعات التي تجندوا على انبياء الله تعالى (عليهم السلام) واجتمعوا على اذيتهم (فرعون وثمود) والمراد بجنديتهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم من العذاب والنكال"[١]، ثم يأتي السياق اللاحق ليبين أن ما حل بهم وما كان منهم يماثل حالكم فيكون في ورود هذا الإنموذج العبرة والعظة،

---

[١] روح المعاني: ٣٣٩/٩.

فهم جنود لمحاربة الله تعالى ورسله (عليهم السلام)، وقد ذهب احد المفسرين الى انه في الجمع بين

هذين الحزبين يكون "قد جمع سبحانه بهما بين العرب والعجم والإهلاك بالماء الذي هو حياة كل شيء والصيحة التي هي إمارة الساعة" [١]، فيرتبط شكلا العذاب بقوله تعالى:﴿**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**﴾،ويبدو ان تقديم فرعون على ثمود في هذا السياق يعود إلى ان حركته كانت اكثر كماً من ثمود وحربه على الله تعالى والرسول (عليه السلام) كانت أوضح معالم، بتجرئه على ادعاء الألوهية،وفي قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِالْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾ [٢].

يتركز الحديث في النص عن أقوام ثلاثة، هم(عاد وثمود وفرعون)وتستوقفنا البنى النصية المتشكلة من قوله: (فرعون ذي الاوتاد)، فالعلاقة التي انشأها التركيب بين العنصر اللغوي الاسمي (فرعون) والصفة التي هو صاحبها (الاوتاد)التي أسهمت بانتظامها في البناء السطحي بتوسيع الاطار المرجعي الذي يحيل اليه النص، فالمتحدث عنه فرعون موسى (عليه السلام) وقد توارد الحديث عنه في مواطن عديدة تعرفنا به، وقد ذهب المفسرون [٣] الى ان القصد من وصفه بذلك كثرة جنوده وخيامهم التي

---

١ نظم الدرر: ٣٦٥/٢١.

٢ سورة الفجر،الآيات/ ٦-١٤.

٣ الرازي، التفسير الكبير: ١٨١/٢٦ ؛ و=: النسفي: ٦٨٨/٣.

يضربونها في منازلهم، فيكون هذا التوجيه منطلقاً من ظاهر معنى الوتد [1]، وهـــذا المـــدلول الأول تتولـــد منـــه دلالـــة أخـــرى ؛ لان وجود الجنود الكثر فيه تثبيت لملكه، فالجنود يشد بعضهم بعضاً فيكونون كالوتد الذي يسند البناء، كما ان دورهم حماية ملكه والمحافظة على حياته واستقراره، والدفاع عنه من كل خطر يحيط به فهم سند له، ويتسع افق النص الى دلالة اخرى تنطلق من التفاعل الذي يقيمه النص الحاضر مع نص آخر يفيد من (المعجم القرآني) الذي جاءت فيه لفظة (الوتد) بمعنى جديد في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾ [2]، فلفظة (الوتد) اوحت لنا بوجود علاقة تربط بين فرعون والجبال وقد يراد بها في هذا المقام الاهرام لانها خاصة بالفراعنة على ماذهب اليه بعضهم [3]، وجاز تسميتها اوتاداً تشبيها لها بالجبال من الرسوخ في الأرض والعظم والسموق والعلو والارتفاع ؛ فتتولد دلالة جديدة من كونه صاحبها وهي أعلى وأقوى الموجودات في الأرض، وورد في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا**﴾ يراد بها إرساء الأرض بالجبال كما يرسي البيت بالاوتاد[4]، فقد جعل الله تعالى الجبال أوتادا أي صيرها ثابتة كالوتد، وجاء النص يصف فرعون بأنه صاحبها، فيكون ذلك تمكيناً له من عند الله تعالى وإنعامـــا عليـــه بـــان جعلـــه مستخلفا في مابعد اعظم واثبت شيء على الارض ؛ لان الله تعالى هو الذي

---

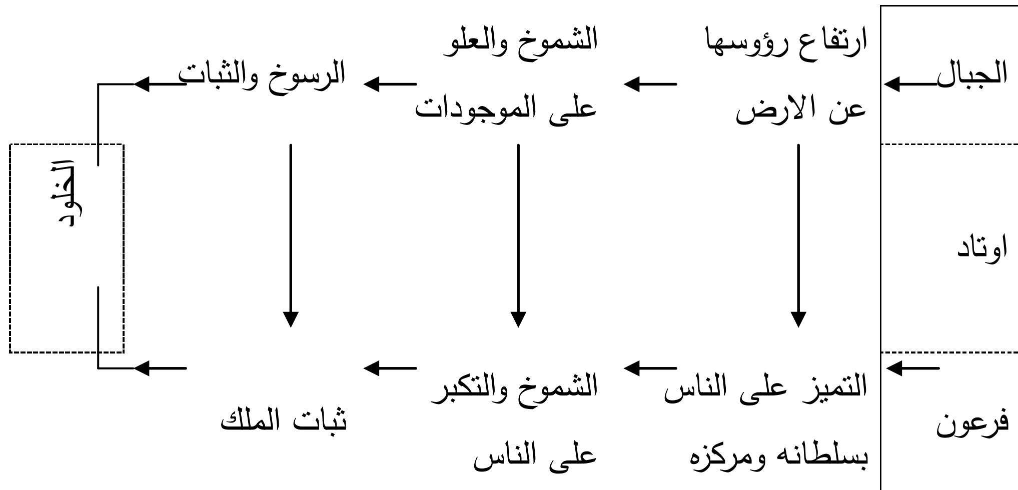
[1] الوتد ماعزز في الحائط والارض من الخشب، والجمع اوتاد، ووتد: ثبت، لسان العرب: ٨٦٩.

[2] سورة النبأ،الآيتان / ٦–٧.

[3] في ظلال القرآن: ٦ / ٣٩٠٤.

[4] روح المعاني: ٩ / ٢٦٨.

وهبها صفة الرسوخ والثبات والعظمة"فيكون المراد فرعون ذا الملك المتأصل في السيادة والمجد والامر المتوطد الاسباب المتمهدة التي استقر بها بنيانه، وتمكن بها سلطانه كما تثبت البيوت بالاوتاد المضروبة والدعائم المنصوبة" [١] ويبنى على المعطى الاول الذي تولد من وصفه بصاحب اعظم ما اوجده الله على الارض واثبت شيء عبر العصور.



والأزمان من خلال عنصر المشاهدة دلالة توحي بسعيه إلى أن يتمسك بالأرض ويطمح أن يخلد فيها، فيستحيل (الوتد) أو (الجبل) رمزاً لرغبته بالتثبت بالأرض وتمسكه بالحياة وسعيه للخلود، وقد تولد معنى آخر تمثل في دلالة التكبر التي نجدها صريحة في قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ**﴾ [٢]،ونلمحه في الاجراء الذي اتخذه لمعاقبة الذين امنوا لموسى (عليه السلام) ﴿**قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ**

---

[١] تلخيص البيان / ٣٦٥.

[٢] سورة القصص،الآية /٤٠.

أجْمَعِينَ﴾[١]، فنلحظ كيف ان هذا النص يحاور النصوص السابقة، إذ نجد أثارها منعكسة في الدلالة التي استوعبها واصبح دالاً جديداً عليها بل انه زاد دلالات جديدة عليها، ويتجلى هذا المعنى ايضا في قوله: ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ * أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ**﴾[٢] ففي تأكيد حضور الذات المتكلمة من خلال الضمير (انا) التي توحي بانه يأبى الا ان يكون حاضراً بالملفوظ ويمكن ان نستخلص دلالة آخرى بوصفها حصيلة للدلالات السابقة، وهي ان ما وصل اليه فرعون من تعظيمه لنفسه وتكبره جعل منه إلها يعبد ويحيلنا هذا المعنى الى عدة نصوص من ذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلا مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لاظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِين**﴾[٣]، وقوله: ﴿**فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾[٤]. ونلحظه ايضا في تحديه لموسى (عليه السلام) وتحديه لرب العالمين في تعذيبه للناس وبقائه ملكاً في قوله كما ورد في النص من قوله تعالى: ﴿**فَلاقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلافٍ وَلاصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى**﴾[٥].

---

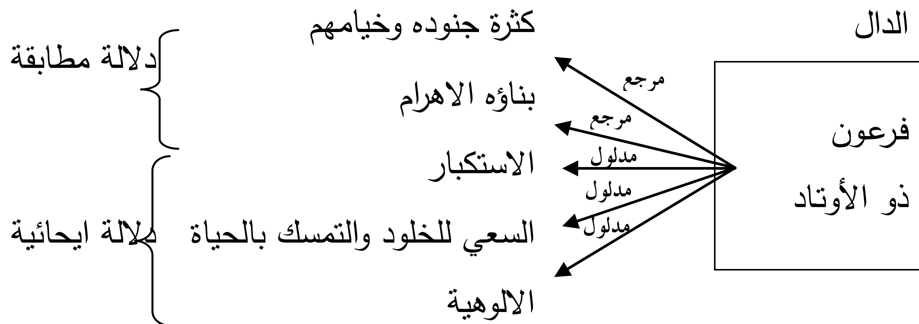
[١] سورة الشعراء،الآية / ٥٠.

[٢] سورة الزخرف، الآيتان / ٥١-٥٢.

[٣] سورة القصص، الآية / ٣٩.

[٤] سورة النازعات، الآيتان / ٤٣-٤٤.

[٥] سورة طه، الآية / ٧٢.



ونحاول الاقتراب من أعماق النص من خلال نسيجه الفني وعلاقاته الداخلية على صعيد السياق المقالي السابق واللاحق، فقد استفتح النص باستفهام موجه إلى المتلقي الأول وفيه تنبيه على الأمر المستفهم عنه ﴿**ألم تر كيف فعل ربك** .. ﴾، والاستفهام هنا يرمي إلى حمل السامع على التسليم بمضمونه لأنه ارتبط بما لحقه ارتباطاً بيانياً؛ ولأنه توكيد وترسيخ له، فقد افتتحه بـ﴿**الم تر كيف فعل ربك بعاد**.. ﴾ فهو إجمال ثم جاء التفصيل لاسم الاستفهام (كيف) المبهم في قوله: ﴿**فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد** ﴾، ونلحظ من خلال البنى التركيبية الأولى وتفصيلها تأكيد حضور السامع في شكل ضمير المخاطب المتصل بـ(ربك)،وانتظم داخل الاستفهام والجواب. انتظاماً ترابطياً تتابعياً ثلاثة محاور تناولت بالذكر ثلاثة اقوام ارتبطت بفحوى الخطاب (السابق واللاحق)، بما فعله الله تعالى بهم وبسبب ذلك الفعل وهي (عاد وثمود وفرعون)، وعدي (فعل) إلى (عاد) بحرف الباء ليحقق معنى إلصاق الفعل بهم، وقد تصدر السياق ذكر (عاد)، ثم زاد تميزها بقوله تعالى: (التي لم يخلق مثلها في البلاد) ((وإرم اسم بلدتهم او ارضهم)) [1] وكانت مساكنهم بالاحقاف وهي كثبان الرمال.. وكانوا بدواً

---

[1] ارشاد العقل السليم: ٥/ ١٥٤، والارم في اللغة: حجارة تنصب في المفازة يهتدي بها يقال ما بها إرم او أرم أي احد.

ذوي خيام تقوم على عماد)) [١]، فتكون إرم ذات العماد أي ذات بناء رفيع او ذات الاساطين. والارم العلم أي بعاد اهل اعلام ذات العلم على انها اسم بلدتهم)) [٢] فالمراد امر امتازت به هذه القبيلة دون غيرها، وقد ورد ذكرها في سياق سابق خارج هذا المقام في قوله تعالى﴿:**وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ *وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ*وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً آمِنِين**﴾ [٣]،وكذلك جاء في معرض خطاب نبيهم لهم في قوله تعالى:﴿:**كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ* إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ* إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ* أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ* وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ* فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ* أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ* وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ* قَالُوا سَوَاء عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ* إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ *فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [٤]،فيكون وصفهم بـ(إرم ذات العماد) بياناً لما ((انعم الله عليهم بإن مكنهم في الارض بالقوة العظيمة وكذلك مكنتهم من تشييد بناء عظيم لا يظاهى فصاروا مثلاً، إلا أن هذا الوصف الذي التصق بهم وارتباطه بالسياق الذي جاء فيه جعل المعنى يتعدى حدود الظاهر ؛ ليصبح سبباً في طغيانهم وفسادهم في الارض من جراء تكبرهم. فنجد هذا صراحة في قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا**

---

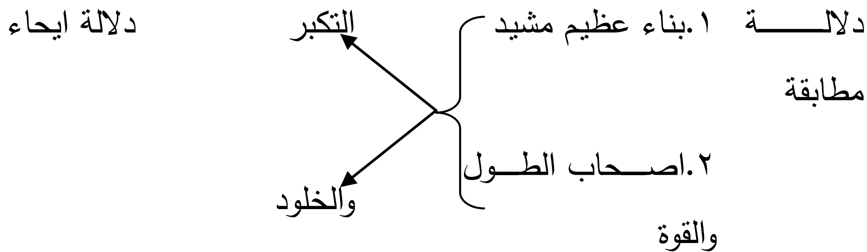
١ في ظلال القرآن: ٣٩٠٣/٦.

٢ ارشاد العقل السليم: ٥/ ١٥٤.

٣ سورة هود، الآيات / ٨٠-٨٤.

٤ سورة الشعراء، الآيات / ١٢٣-١٣٩.

مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [١]، ونجد السياق يذهب بنا الى ارتباط هذه الصروح التي بنوها والقوة التي امتلكوها ليكون الوصف رمزاً يعبر عن رغبتهم في الخلود ؛ وذلك لقول نبيهم لهم﴿**أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ**﴾ [٢] من هنا استحال بناؤهم الى تجسيد رغبتهم الحقيقية بالخلود.

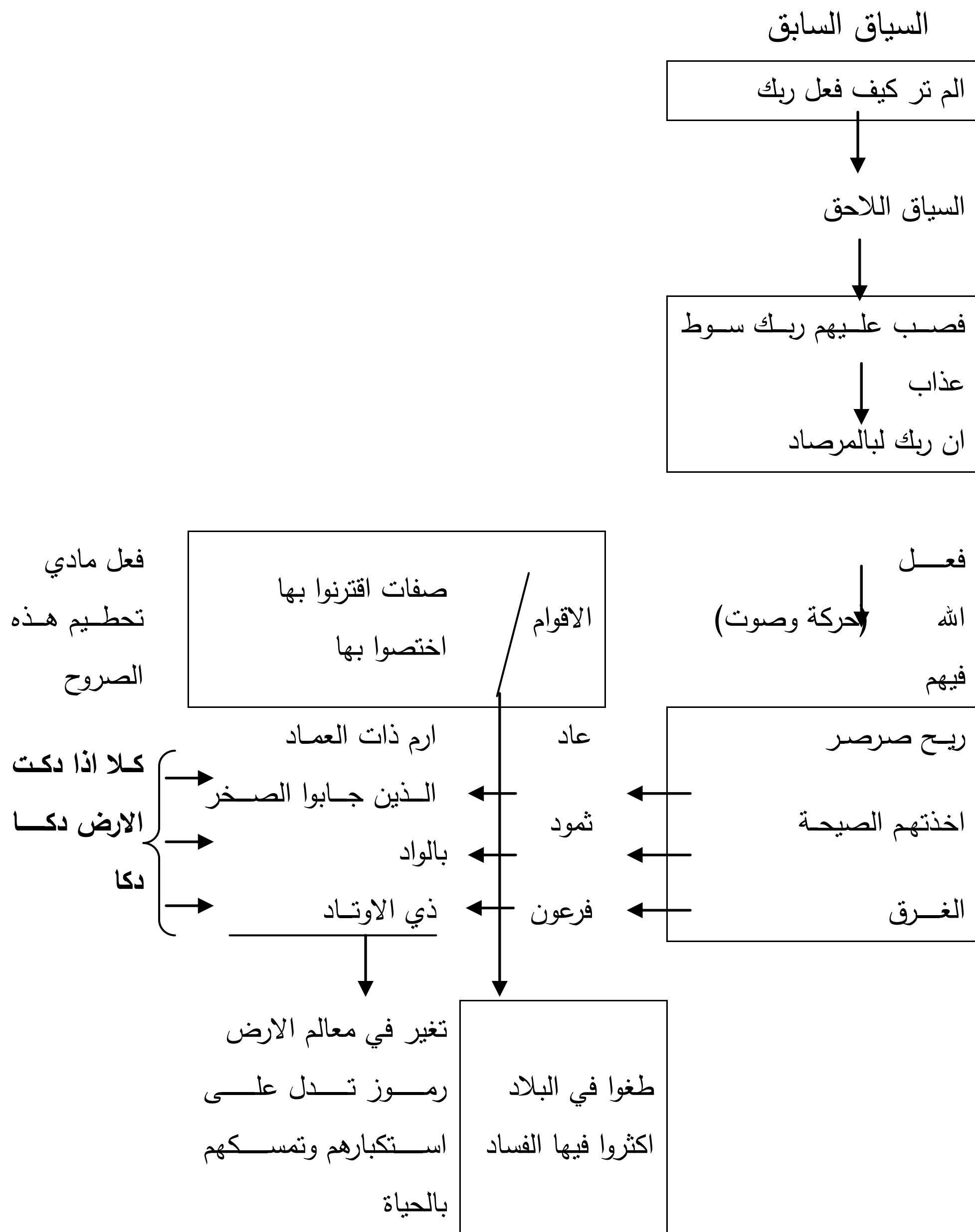


وعندما جاء اقتران كل قوم من هذه الاقوام بصفة معينة حققت بذلك تكثيفاً يستدعي كل ما فعلته هذه الاقوام، وبذلك يتحقق الانسجام مع مضمون السورة الذي تناول النعم وكفر الانسان بها.

---

[١] سورة فصلت، الآية / ١٥.

[٢] سورة الشعراء، الآيتان / ١٢٩–١٣٠.



ومما يستوقفنا هنا ان البنى النصية المتشكلة (فرعون ذي الاوتاد) من بين الاقوام التي وردت قد اختص هو وحده بالصفة، في حين ان **(عاد)** اسم قوم والصفة التصقت بالقوم جميعهم (ذات العماد) وثمود اسم القوم والصفة

احاطت بهم كلهم (الذين جابوا الصخر بالواد)، فضلا عن ان فرعون عندما اغرقه الله تعالى وجنده وأبقى على جسده فقال: ﴿**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ**﴾ [١]، كما ان كل النصوص التي ذكرت في مواجهة دعوة موسى (عليه السلام) جاءت من اقوال فرعون وحده وقد وردت البنى النصية (فرعون ذي الاوتاد) في نص آخر بالتركيب نفسه في قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ * وَمَا يَنظُرُ هَؤُلاء إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ**﴾ [٢]



نلحظ ان الاقوام التي ورد ذكرها هنا كانت ضعف عدد الاقوام التي ورد ذكرها في سورة الفجر. فالمقام هنا يختلف عن ذلك المقام ؛ لان السياق الذي وردت فيه هو سياق تكذيب الرسل والسياق اللاحق يؤيده في قوله تعالى: (واصبر على ما يقولون) فاجتمع ذكر هذه الاقوام ؛ لانها اشتركت في ذات الرد على الرسل بالتكذيب وبالاستهزاء وعدم الاستجابة، فيكون هذا النص الحاضر إشارة الى نصوص اخرى سابقة. وفي قوله: (كذبت قبلهم) التي افتتح بها الكلام إشارة وسعت عالم الخطاب فاصبح الجمهور المخاطب في

---

[١] سورة يونس، الآية / ٩٢.

[٢] سورة ص، الآيات / ١٢-١٥.

هذا النص يشمل فضاء الزمن بكل أبعاده (الماضي والحاضر والمستقبل) فكل من يكذب الرسل يدخل دائرة إحقاق العقاب عليه ؛ فيرصد السياق مجموعة من تجارب الاقوام السابقة باقوالها وعقابها الذي انزل عليها للعظة والتذكر.فعندما كان المقام يتحدث عن اقوالهم متعجبين بإثارة شبهات ثلاث:

أولها: تتعلق بالالوهية ﴿**أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَاب**﴾[١].

الثانية: تتعلق بالنبوءات ﴿**أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ**﴾ [٢].

الثالثة: الميعاد وهو قولهم: ﴿**وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ**﴾[٣].

لان القوم كانوا في غاية الإنكار للقول بالحشر والنشر [٤] فكانوا يستدلون بفساد القول بالحشر والنشر على فساد نبوته. أعقب حكاية أقوالهم في التكذيب ابتداء من قوله: (وقال الكافرون هذا ساحر كذاب) أي هنا يأمر الله تعالى رسوله (ﷺ) بالصبر على أقوالهم إذ كان جميعها اذى، اما صريحا كما قالوا: (ساحر كذاب) وقالوا: (ان هذا الا اختلاق)، (ان هذا لشيء يراد)، واما ضمناً كما يبدو من سائر أقوالهم من إنكار ما جاء به الرسول (ﷺ) والاستهزاء بقولهم: (ربنا عجل لنا قطنا) يكمن في اثبات ان الاله واحد ويشمل ما يقولونه مما لم يجئ في اول هذه السورة. ونجد في أسلوب الحوار الذي قام بين كل من فرعون وموسى (عليه السلام) مجالاً لتفاعل النصوص: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى *قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ**

---

١ س. ن، الآية / ٥.

٢ ن، الآية / ٨.

٣ ن، الآية / ١٦.

٤ التفسير الكبير: ١٨٣/٢٦.

جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى *إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾[1].

يستوقفنا في النص اختلاف الصيغة التي جاءت بالمفرد مع ان المتكلمين هما (موسى وهارون) (عليهما السلام) فكأن سؤال فرعون لموسى (عليه السلام) كان بنى مولدة لعدد من المعاني فان الموقف الذي يعرضه النص يصور لنا حواراً وجدلاً قائماً بين طرفين يحملان افكاراً متضادة ففرعون الذي ينكر وجود الله (عز وجل) ويدعي الالوهية وهو بطبيعة الحال رافض للدعوة ؛ لانها تزلزل بنيان عرشه وتضعضع ثقة قومه به، يلجأ الى هذه التقنية التي يتطلبها في موقف الحجاج، فهو يوحد الجبهة التي تشن المعركة عليه وتعلن خطأه وتومي الى اتهامه، فنداء فرعون لموسى (عليه السلام) بـ(يا موسى) الذي يحمل في طياته عتاباً يقيم حواراً مع نصوص آخرى غائبة في هذا المقام في قوله تعالى: ﴿**فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ *وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ [2] فيه إشارة الى انه ناكر للجميل، كما انه قد ارتكب جرماً بقتله شخصاً من شيعته، ويعد هذا الايماء الى الامرين زعزعة لموقف موسى (عليه السلام)، ومحاولة النفاذ إلى حجته وكسب الجمهور، وقد تكون هاتان المسألتان سبباً في طلب موسى (عليه السلام) من الله

[1] سورة طه :الآيات/ ٤٣–٥١.

[2] سورة الشعراء، الآية / ١٦–٢١.

(ﷻ) ان يبعث معه اخاه هارون ليشد به ازره،وهو ما نجده في نص آخر يحاول النفاذ الى موسى باستغلال جزيئة آخرى تضعف موقفه (عليه السلام): (ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) فيكون فرعون ((قد طمع بمكره وسوء طريقه في حبسة تحصل في لسانه فافرده بقوله يا موسى)) [١]، فهو اختار طرقاً في الصراع يمكن ان ينفذ إليه بها، ويحاول استغلالها للنفاذ إلى عقول الجمهور. وذهب بعض المفسرين إلى أن النداء لموسى (عليه السلام) ((كان لانه لا يريد ان يعترف بان رب موسى وهارون هو ربه كما قالا له: (انا رسولا ربك) فهو يسأل موجهاً الكلام إلى موسى (عليه السلام) لما بدا له انه هو صاحب الدعوة)[٢]، فيكون في افراده بصيغة النداء تلك قد حقق مقاصد منها:

١- انه لا يريد الاعتراف بان رب موسى (عليه السلام) هو ربه، لانه لو جمعهما لاعترف ضمناً انه رب كل الموجودات ولأصبحت جبهة موسى أقوى.

٢-توحيد جبهة المواجهة باستغلال عناصر احالته الى نصوص آخرى.

٣-إدخال الضعف إلى حجة موسى بمؤثر حسي (حبسة في لسانه).

يعتمد النص القرآني طرائق متعددة في التاثير في المتلقي، وتغيير قناعاته وترتقي وسائل الاقناع داخل النص الواحد الى اكثر من شكل، ويمكن ان ننطلق من مفهوم الإحالة الذي يجعل للنص توجيها مزدوجاً يتمثل في – توجيه دلالي اولي منبثق من النص الاصل،و– توجيه دلالي ثان اشاري يستمد افقهمن علاقته مع نص آخر، يحمل معه فكرة محورية، فتقيم النصوص من خلال هذه الثنائية الدلالية حواراً او محاججة داخلية تؤسس

---

١ نظم الدرر: ٢٩٤/١٢.

٢ في ظلال القرآن: ٢/ ٢٣٣٧.

تصوراً جديداً وتغير قناعات معينة يراد اجتثاثها، ففي قوله تعالى:﴿ **مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون**﴾[١]ان المحور الدلالي الذي يريد النص التركيز عليه في هذا المقام، هو تفنيد ادعاء النصارى في ان عيسى (عليه السلام) وأمه إلهان، ((ولولا ان ذلك معتقدهم لما وقع التعرضولا الاستدلال على بشريتهما بانهما كانا ياكلان الطعام)) [٢]وقد اختيرت هذه الصفة من بين صفات كثيرة ؛ لانها ظاهرة واضحة للناس، او لكونها ضعفاً ملازماً ظاهراً وهو اصل الحاجات المعترية للإنسان، فهو تنبيه على غيره ومن الامر الجلي ان الاله لا ينبغي ان يدنو الى جنابة عجز أصلاً [٣]، فالاله قادر على الخلق والايجاد، فلو كان إلهاً لقدر على دفع ألم الجوع عن نفسه بغير الطعام والشراب، فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل ان يكون إلهاً للعالمين [٤]، إلا أن النص بطريقة عرضه هذه يؤكد فاعلية الإحالة بشكل جديد، فالنص يبطن غرض الجدل والمناظرة والمحاورة، وهذه الأغراض كلها لا تقوم الا باستحضار حجة الاخر المحاور، وذلك جزء من تمثل بنية عقله، هنا بالذات يظهر التداخل وذلك شكل من أشكال الإحالة بين التلفظ في القرآن وإجراء اللغة في المجتمع العربي [٥]، فنجد في النص استحضاراً لفكرة قد تأصلت في اذهان المشركين والكفار مفادها متجسد في رفضهم فكرة ان

---

١ سورة المائدة: الآية /٧٥.

٢ التحرير والتنوير: ٢٨٥/٦.

٣ نظم الدرر: ٢٥٥/٦.

٤ التفسير الكبير: ٦٢/١٢.

٥ المنهج الانثروبولوجي في دراسة مصادر الفكر الاسلامي الاولى، المنصف بن عبد الجليل، الفكر العربي المعاصر، ع ٦٨-٦٩، ١٩٨٩ / ٣٤.

يكون الرسول بشراً، وذلك قد تردد في اعتراضاتهم المتوالية عبر الزمان والمكان على الرسل في قولهم: ﴿ **فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَراً مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ**﴾ [١]. فالبشرية التي رفضوها في الرسول ارتضوها في الاله، وذلك بما اقتضاه قوله تعالى: (كانا يأكلان الطعام) من كونهما بشرين والتي حققها لازم دلالة (الاكل)، كما ان اعتراضهم قد امتد الى جزئية الاكل نفسها عند الرسل في قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً**﴾ [٢]، فالنص يحمل حجة عقلية تخاطبهم انطلاقاً من قناعاتهم نفسها، فان كانوا قد رفضوا الحاجة في الرسول فكيف ارتضوها في الاله، فالفكرة الاساس التي يراد ترسيخها تكمن في ان الرسول بشر وان بشريته لا تتنافى وحقيقة اختياره رسولاً من عند الله مهمته التبليغ. واذا عدنا الى منطلقات المشركين في اعتبار عيسى (عليه السلام) الها لوجدناها تعود الى ولادته غير المعهودة لديهم ؛ لان افقهم المعرفي عن حقيقة الولادة يتنافى وما لابس مولد عيسى (عليه السلام) من اعجاز، ويمكن ان نجد معالجتها عندهم بالتذكير بوجود ادم (عليه السلام) من غير ام ولا اب في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [٣]،وهنا تكمن خصوصية السياق بذكر عيسى وادم من دون الأنبياء (عليهم السلام)، والمنطلق الثاني لديهم معجزاته،والحقيقة ان الرسل كلهم خصهم الله بمعجزات تتواكب ومعطيات عصرهم ((فما جرى على يديه من معجزات جرت على ايدي رسل قبله، وان

---

[١] سورة هود، الآية /٢٧ ؛ سورة المؤمنون، الآية / ٣٣.

[٢] سورة الفرقان، الآية / ٩.

[٣] سورة آل عمران، الآية / ٥٩.

اختلفت صفاتها فقد تساوت في انها خوارق عادات وليس بعضها بأعجب من بعض، فما كان احياؤه الموتى تحقيقاً ان يوهم بألوهيته، وفي هذا نداء على غباوة القوم الذين استدلوا على ألوهيته باحيائه الموتى من الحيوان فان موسى (عليه السلام) احيا العصا وهي جماد فصارت حية))[١]. وانفتاح النص تعمق دلالة فعل الامر (انظر) التي توجهت إلى الرسول (ﷺ) ومنه الى كل من يسمع او يرى عبر الزمان والمكان ؛ لان دلالة النظر تحمل معنى الرؤية والتفكير، والامر لا يخلو من ان يكون مرئياً او فكرياً. واستخدم (كيف) للاستفهام عن الحال ((واريد مع الاستفهام التعجيب كناية أي انظر ذلك تجد جوابك انه بيان عظيم الجلاء يتعجب الناظر من وضوحه))[٢]، وجاء فعل البيان بصيغة المضارع ليدل على الاستمرار والتجدد، فبيان قدرة الله تعالى وكماله المستدل عليها من الموجودات، التي يقابلها النقص عند من اتخذوهم من مخلوقاته يقابله افكهم الذي يعني انصرافهم الكامل. فردة فعل الكافرين كانت اعجب بإنصرافهم عن إدراك البعد الحقيقي للموجودات، ويلتقي هذا النص في دلالته ووظيفته الاحالية مع نص آخر في إطار الموضوع نفسه في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾[٣].ففي النداء بالجمع تأكيد واحدية المصدر وإنجماع الرسل على منهج واحد يؤكد وحدة الهدف الذي جاء من اجله كل الرسل عبر الزمان والمكان، فهو نداء صريح وحجة على المخاطبين الرافضين مبدأ البشرية في الرسل بان يمارسوا بشريتهم التي اعترض عليها الكفار لان عقولهم المريضة ترفض قبول حقيقة كون الرسول بشراً ((فالمراد به هنا لازمه وهو اعلام

---

[١] التحرير والتنوير: ٢٨٥/٦.

[٢] م. ن: ٢٨٧/٦.

[٣] سورة المؤمنون، الآية / ٥١.

المكذبين بان الاكل لا ينافي الرسالة وان الذي ارسل الرسل اباح لهم الاكل)) [(١)] ذلك في قوله تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [(٢)]، فقد دخلوا من مسألة التحريم الى الطعن في حقيقة الرسول (ﷺ) بان ((قالوا لسنا أول من حرمت عليه، وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا))[(٣)] امر بمحاججتهم بكتابهم فقد حرم عليهم ما حرمه لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديداً، وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة. ففي قوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى * وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى *أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى * أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى * أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلأنسَانِ إِلا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الأوْفَى**﴾[(٤)]يدخل المتلقي الاول داخل النص دخولاً منظوراً بفعل الرؤية والاستفهام الذي حقق لفت انتباه المتلقي وقد يكون المقصود بـ(الذي) ((شخصاً بذاته أو يكون نموذجاً من الناس سواء، فالذي يتولى عن هذا المنهج، ويبذل من ماله او من نفسه لهذه العقيدة ثم يكدي أي يضعف عن المواصلة ويكف-امره عجيب، يستحق التعجيب ويتخذ القرآن من حاله مناسبة لعرض حقائق العقيدة وتوضيحها)) [(٥)] وينتظم في النص ذكرمسألتين (صحف موسى) و(وفاء ابراهيم) وقد جاء التعجيب من الامرين بفعل (الانباء) الذي يتصل بما هو مغيب عن إدراك الإنسان، ويرتبط بسياق

---

[١] التحرير والتنوير: ٦٨/١٨.

[٢] سورة آل عمران، الآية / ٩٤.

[٣] أسرار التأويل: ٥٢.

[٤] سورة النجم:الآيات/ ٣٣-٤١.

[٥] في ظلال القرآن: ٣٤١٤/٦.

التهويل والتعظيم والتعجيب الذي يؤدي الى الاختلاف في شأن المنبأ عنه ؛ لان النص تعمد إخفاء الفاعل ببناء الفعل للمجهول (ينبأ) للتركيز على الامر المنبأ عنه ولاختلاف الفاعل ماديا (رسل متعددة) ومعنويا (دلائل تنبأ)، وهنالك تاكيد ضمني على ان الموجود في صحف موسى (عليه السلام) الآن هو غير ما في حقيقة تنزيله، وينحو الترابط إلى إيجاد علائق بين ما هو سابق وما هو لاحق في بلورة المعنى، فالاحالة الى نبي جاءت في سياق تتابعي ضمن وصل واحد فيها ذكر صحف موسى (عليه السلام) والتذكير بابراهيم (عليه السلام) يقتضي الإشارة إلى كون ((هذا الدين قديما موصولة أوائله وأواخره، ثابتة أصوله وقواعده، يصدق بعضه بعضاً على توالي الرسالات والرسل، وتباعد المكان والزمان، فهو في صحف موسى (عليه السلام) وهو في ملة ابراهيم قبل موسى)) [1] ويقيم النص الذي استضافه السياق في قوله تعالى: (ابراهيم الذي وفى)، فإبراهيم (عليه السلام) ارتبط عند المخاطبين بمرجعيات معينة. وإذا أخذنا دلالة العطاء والاكداء في سياق الذم فـ((وصف عطائه بانه قليل توطئة لذمه بانه مع قلة ما اعطاه قد شح به فقطعه، وأشار بقوله: (واكدى) إلى بخله وقطعه العطاء، وهذه مذمة ثانية بالبخل زيادة على بعد الثبات على الكفر فحصل التعجيب من حاله)) [2] فان كان المقصود بيان بخل هذا الموصوف، فقد قابله من هو مثل بالكرم بدلالة الوصف بـ(الذي وفى) فكان ((يسير كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فان وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم)) [3]. وقد ورد في اكثر من سياق استقباله الضيوف وترحيبه بهم وإكرامه لهم بتقديم الطعام وحزنه وارتيابه من عدم تناولهم له (((فقد وصف ضيف ابراهيم

---

[1] في ظلال القران : ٣٤١٤/٦.

[2] التحرير والتنوير: ١٢٨/٢٧.

[3] اسرار التأويل / ٤٤٦.

(عليه السلام) بانهم مكرمون في سورة الذاريات [١] وقد تناولت هذه السورة تفصيلات تتناول كرم ابراهيم (عليه السلام)، فقد راغ الى اهله بحثا عما يستطيع تقديمه الى ضيوفه، ثم جاءهم بعجل سمين، وكان يكفيهم خروف لكنه جاء بعجل وليس بأي عجل، وإنما سمين لتميزه بالكرم، ثم يقدمه إبراهيم (عليه السلام) بنفسه: **(فقربه اليهم))** [٢]. وإذا اتسعت لدينا دائرة البخل والكرم إلى كل ما يحتكم عليه الإنسان في هذه الدنيا وجدنا نصوصاً قرآنية كثيرة تبرز هذا الجانب في إبراهيم (عليه السلام) إذ احتمل ما لم يحتمله غيره. الموقف الذي وضعه فيه الكفار من قومه لإحراقه ﴿**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَاناً فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ**﴾ [٣]، والصعوبة التي عاناها إلى أن رزقه الله بولد صفاته نموذجية: ﴿**فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ* فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِي**﴾ [٤]،وموقفه من ابيه: ﴿**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾ [٥] ؛ فتؤكد السياقات زهد إبراهيم (عليه السلام) في الدنيا وبذلها في سبيل الله تعالى، وقد خص السياق هذين النبيين **(إبراهيم وموسى) (عليهما السلام)**،لان المدعين من بني إسرائيل من اليهود والنصارى يدعون متابعة عيسى (عليه السلام) وكل العرب يدعون متابعتهم إبراهيم (عليه السلام)[٦].

---

[١] سورة الذاريات، الايتان / ٢٤-٢٥

[٢] دراسة نصية في القصة القرآنية، سليمان طراونة / ٨٣.

[٣] سورة الصافات، الآية / ٩٧.

[٤] س. ن، الآيات / ١٠١-١٠٢.

[٥] سورة التوبة، الآية / ١١٤.

[٦] نظم الدرر: ٧٢/١٩.

ان المفهوم الذي يبنى من كون النص حواراً غير قابل للحصر والانغلاق، هو نمط خاص من أنماط الدلالة ؛ لانه يتشكل من تعبيرات تعد تامة، أو تتضمن احتمالية تمامها؛ إلا أن انتماءها إلى المقاربة التي ترى فيها مجالاً تقام فيه العلاقات الدلالية وتتشكل أجزاؤه، تجعل مجاله الإشاري واسعاً ؛ فللقراءة الإحالة مقدرة على أن تجمع بين تحولات متعددة تنقل القارئ من وجود نصي مرجعي إلى وجود آخر، فيصبح النص مكاناً لظهور مضمون الدلالة الايحائية [١]، وبغناها الايحائي يصبح النص تضعيفاً مزدوجاً لنص آخر فتكتسي النصوص بملامح جديدة تنبع من علاقات التفاعل مع النصوص الأخرى ومع السياق، ونلحظ في قوله تعالى: ﴿**وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ**﴾ [٢].

ان في النص صورة من صور الخطاب التي تعنى بجانبين من الاداء الدلالي؛ فهو متوجه الى المتلقي الاول الرسول (ﷺ)، بل كما قال المفسرون فيه تسلية له ببيان أزلية هذه الحرب التي تشن ضد الدعوة التي يدعو اليها الرسول (ﷺ)، ومن قبله الرسل (عليهم السلام) ؛ والجانب الآخر : أن فحوى الخطاب يوحي بتهديد قوي الصدع متوجه الى المخاطبين الذين يستمعون هذا القول، من كان منهم في ذلك العصر ومن جاء بعدهم (الجمهور المحتمل)، فالنص في قوله تعالى: (وان يكذبوك) جاء ليجمع باسلوب واحد وعلى وتيرة واحدة رسلاً متعددين على اختلاف

---

١ =: مفهومات في بنية النص، ترجمة: د. وائل بركات / ٩٠.

٢ سورة الحج، الآيات/ ٤٢-٤٤.

الازمان والاماكن والاقوام بخواصهم التي امتازوا بها ويمكن تمثل السياق بجدول تحليل القوى الفاعلة:

الفعل	الفاعل	الانبياء	الاماكن	مواصفات الفاعل	مواصفات اكتسابية مميزة
كذبت	قوم	نوح		اعمار طويلة (١)	
=	عاد	---		ابدان شداد (٢)	سعي للخلود
=	ثمود	---		ابنية طوال (٣)	سعي للخلود
=	قوم	ابراهيم			تكبر وتجبر (٤)
=	قوم	لوط			انحراف وشذوذ (٥)
=	اصحاب		مدين	يملكون الاموال	مطففون يبخسون الناس حقهم (٦)
كذب		موسى			

تتمثل في عرض هذه القصص ألوان الفتن والصعاب في طريق الدعوة الى الله، فقصة نوح (عليه السلام) تظهر فيها ضخامة الجهد وضآلة الحصيلة ؛ فقد لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً، ولم يؤمن معه الا قليل، وفي قصة ابراهيم (عليه السلام) يظهر سوء الجزاء وطغيان الضلال فكان جواب قومه: ﴿**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي**

١ سورة العنكبوت، الآية / ١٤.
٢ سورة فصلت، الآية / ١٥.
٣ سورة الشعراء، الآيتان / ١٤٩-١٥٠.
٤ سورة الصافات، الآيتان / ٩٨-٩٩، وسورة الانبياء، الآية / ٥٦.
٥ سورة الاعراف، الآيات / ٨٠-٨٣، وسورة النمل، الآيات / ٥٤-٥٦.
٦ سورة الاعراف، الآيات/ ٨٥-٨٧، وسورة هود، الآيات / ٨٤-٨٦.

ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١] وفي قصة لوط (عليه السلام) يتضح تبجح الرذيلة واستعلاؤها وانحدار البشرية الى الاسفل من الانحراف والشذوذ والاستهتار بالنذر، وفي قصة شعيب (عليه السلام) يصور الفساد والتمرد على الحق والعدل والتكذيب، وفي قصة عاد وثمود الاعتزاز بالقوة والبطر بالنعمة [٢]، والسياق تطرق إلى الإشارة لسبع تجارب (أقوام وأنبياء وظروف)، أربعة أنبياء عمد إلى ذكرهم في هذا المقام تصريحاً وهم **(نوح، وإبراهيم، ولوط، وموسى) (عليهم السلام)**، وثلاثة اكتفى بالإشارة إليهم وهم **(هود، وصالح، وشعيب) (عليهم السلام)**، وقداجتمع الأنبياء كلهم على قضية واحدة هي قضية التوحيد وهذا ما أكدته دعوتهم في مقامات متعددة من ذلك قوله تعالى على لسان نوح (عليه السلام):**﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾** [٣]. وقوله تعالى: **﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾** [٤]. وقوله: **﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [٥]. وقوله: **﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [٦]. وقوله: **﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾** [٧]. وقوله: **﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا**

---

[١] سورة العنكبوت، الآية / ٢٤.

[٢] =: في ظلال القرآن: ٢٧٢٧/٥.

[٣] سورة الاعراف، الآية / ٥٩.

[٤] س. ن، الآية / ٦٥.

[٥] ن، الآية / ٧٣.

[٦] سورة العنكبوت، الآية / ١٦.

[٧] سورة الشعراء، الآيات / ١٦٠-١٦٣.

قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١].

ويمكن ان نجد من خلال حركة الفاعل الذي ابرزه تحليل القوى الفاعلة في السياق كله، ان هناك أواصر تجمع المكذبين بمجاميع مصنفة معيارها الجركة المتغايرة للفاعل داخل البناء النصي في حين يبقى الفعل (كذب) بدلالته السلبية محافظاً على وجوده ممتداً ليحتوي ستة فاعلين فلفظ الفاعل (قوم) حافظ على وجوده مع ثلاثة أنبياء: **نوح، وابراهيم، ولوط) (عليهم السلام)**، ولعل الذي جمعهم على وتيرة واحدة هو حركة الإخراج التي حصلت للرسل من موطنهم، فتغاير المكان كان بارزاً في ردة الفعل التي نتجت عن تكذيبهم، فنوح (عليه السلام) أخرجه الله تعالى من أرضه وأغرق الكافرين من قومه ونصره عليهم [٢]، ولربما يعود استهلال النص بذكر قصة قوم نوح (عليه السلام) لإلحاحه في الدعوة وشدة مكابدته وصبره على أفعال قومه تعينه في ذلك ظروف تهيأت له ولقومه بأن أطال الله تعالى في أعمارهم بدلالة قوله تعالى: (فلبث فيهم الف سنة الاخمسين عاماً) [٣]، ونجد تصويراً لإلحاح نوح (عليه السلام) ولردة فعل قومه، باعتماد عنصر الحركة في قوله تعالى على لسان نوح (عليه السلام):﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً* فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَاراً* وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً* ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَاراً* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَاراً﴾** [٤]، كما أن إبراهيم ولوطاً

[١] سورة الاعراف، الآية / ٨٥.

[٢] =: سورة القمر، الآيات / ١٠-١٤.

[٣] سورة العنكبوت، الآية / ١٤.

[٤] سورة نوح، الآيات / ٥-٩.

(عليهما السلام) نصرهما الله تعالى وأخرجهما من ارضهما وعذب المكذبين. وكانت لهما ردة الفعل نفسها اذ طلبا من الله تعالى ان يخرجهما من تلك الارض الكافرة ويشير ابن عاشور إلى أن قوم إبراهيم (عليه السلام) في هذا المقام انهم ((أتم شبهاً بمشركي قريش في انهم كذبوا رسولهم وآذوه، والجؤوه الى الخروج من موطنه، ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾))[1]، فكان ذكر الجاء قريش المؤمنين الى الخروج من موطنهم في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ [2] مناسبة لذكر قوم ابراهيم (عليه السلام)، ويمكن ان ينظم الى هذا التوجه ذكر قوم لوط (عليه السلام) ؛ لأنه ورد اجتماعهما في سياق واحد في قوله تعالى: : ﴿**وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ**﴾[3]، فالقوى الفاعلة السلبية المتحققة بالفعل (كذب) تبقى محافظة على وجودها داخل النص مع الفاعل المركزي في المواضع الثلاثة (قوم)، الا ان التغيير والتحريك الذي حصل للفاعل وتنوعه يؤشر مدلولات جديدة تؤسسها علاقات النص مع نصوص اخرى فتغير الفاعل من (قوم) الى (عاد وثمود) مع بقاء اثر الفعل، خاصة ان النص القرآني قد عمد الى جمعهما في اكثر من مقام يوحي بأواصر تجمعهما، ولربما عاد ذلك الى سلوكهما المشترك في ترميز رغبتهم بالخلود في الصروح التي عمدوا الى بنائها، فضلاً عن عقابهما الذي كان من جنس واحد اعتمد فيه الصوت بدليل قوله تعالى: ﴿**كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ* فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ* وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ* سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ**

---

[1] التحرير والتنوير: ٢٨٤/١٧.

[2] سورة الحج، من الآية / ٤٠.

[3] سورة الانبياء، الآية / ٧١.

سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [١]، ويستمر الفاعل بحركته مع ثبات اثر الفعل في قوله: (واصحاب مدين) واقتضى وصفهم (بأصحاب) الملاصق بالمكان انتفاعهم به [٢]، فيبدو هذا الفاعل عاكساً تعلق هذا الصنف من الناس التي وهبها إياهم الله والتي تركزت في مكان وجودهم يعضد هذا إلحاح نبيهم شعيب (عليه السلام) في نصحه لهم لطغيان المال وانتشار ظاهرة نجس الناس حقها واستكبارهم في قوله تعالى على لسان شعيب (عليه السلام):﴿**وَيَا قَوْمِ أَوْفُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [٣]، وفي قوله تعالى على لسانهم جواباً لدعوة شعيب (عليه السلام):﴿**قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ**﴾ [٤] ويبدأ السياق بنقلة نوعية تتحقق بمؤشرات أولها تكرار الفعل (كذب) لتأكيد حضور أثره كقوى محركة للفاعلين المتغيرين على امتداد السياق، في قوله: (وكذب موسى) مع بناء الفعل للمجهول الذي نتج عنه تحريك في رتبة المفعول فيتحول بذلك التركيز من الفاعل الى (الحدث والمفعول) ؛ ((لان اصل وضع المفعول ان يكون فضله وبعد الفاعل كـ (ضرب زيد عمراً) فإذا عناهم ذكر المفعول قدموه على الفاعل فقالوا☹ ضرب عمراً زيد)، فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصب، فقالوا: (عمراً ضرب زيدٌ)، فان تظاهرت العناية به عقدوه على أنه رب الجملة وتجاوزوا به حد كونه فضله ...، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونووه، ولم ينصبوه على ظاهر أمره رغبة به عن صورة الفضلة وتحامياً لنصبه

---

[١] سورة الحاقة، الآيات / ٤-٧.

[٢] =: الفروق اللغوية / ٥٦.

[٣] سورة هود، الآية / ٨٥.

[٤] س. ن، الآية / ٨٧.

الدال على كون غيره صاحب الجملة،ثم انهم لم يرضوا له بهذه المنزلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على انه مخصوص به والغوا ذكر الفاعل البتة (..) والبناء للمفعول ان يكون الغرض انما هو الاعلام بوقوع الفعل بالمفعول إبانة الفاعل من هو[١]، وقد يرجع حذف الفاعل في هذا المقام إلى أسباب منها: تصيير المفعول مركزاً للاهتمام ومحوراً للقصد، فالبينات أو الآيات التي قدمها موسى (عليه السلام) ورد بيان عظمتها وكثرتها في قوله تعالى: ﴿**وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [٢]. فيكون التركيز على تعظيم حدث التكذيب معه اكثر من غيره لتميز الآيات بالبيان والكثرة من غيرها، أو أن يكون السبب راجعاً إلى أن موسى (عليه السلام) على رأي احد المفسرين، ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط [٣]، وهو ما ترفضه النصوص القرآنية جاءت توضح ان بني اسرائيل كانوا ممن كذب بموسى (عليه السلام) ؛ لان الله تعالى أوقع بهم صنوف العذاب، أو أن يكون السبب في عدم تحديد الفاعل كثرة الصعوبات التي واجهها موسى (عليه السلام) مع المكذبين من قومه وغيرهم، فقد تفننوا في تكذيبه بين اتهامه بالسحر وعنادهم في قوله على لسانهم: (مهما تاتنا من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين)، واتهامهم له بالجحود ونكران الجميل، وبالجنون تهكماً به، أو بحب الاستعلاء،وحيازة السلطان في الارض، وبالاستهزاء والتكبر عليه، ويدخل في هذا التكذيب وقوف فرعون بهيلمانه وسلطانه العظيم الذي انتهى بادعائه الالوهية ضد موسى (عليه السلام)، فالصراع الذي خاضه موسى (عليه السلام) كان مكثفاً ؛إذ أن القوى الفاعلة للتكذيب و التي لم يذكرها السياق ببناء الفعل للمجهول عظمت الفعل والمفعول، فضلاً

---

[١] المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها، ابن جني: ٦٥/١-٦٦.

[٢] سورة الزخرف، الآية / ٤٩.

[٣] الرازي، التفسير الكبير: ٤٢/٢٣.

عن دلالة الفعل (كذب) الذي جاء بصيغة الماضي ((للدلالة على وقوع الحدث وانقضائه وثباته في هؤلاء الاقوام، وقد تكرر التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره وإفادة التوكيد والتخصيص كل هذا جاء في سياق المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق اشد العذاب)) [١]، وقد جاءت محمولة باسلوب التحذير للجمهور الذي يستمع للخطاب سواء صدقوا أم لم يصدقوا بوقوع العذاب من خلال زجرهم بعرض مآل الأمم السابقة [٢].

الجدول (١) خاص بنماذج جملة (الإحالة)

ت	الآيـــة	رقم الآية	اسم السورة
١	﴿ما كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٦٧	آل عمران
٢	﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا﴾	١٧٢	النساء
٣	﴿لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٧	المائدة
٤	﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾	٧٥	المائدة

---

[١] الكشاف: ٧٦/٤.

[٢] التفسير الكبير: ٢٦/١٨١-١٨٢.

٥	﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللّـهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾	١٠٩	المائدة
٦	﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾	١١٦	المائدة
٧	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾	٩	الأنعام
٨	﴿قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	١٤	الأنعام
٩	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	٢٢	الأنعام
١٠	﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾	١٩	الرعد
١١	﴿هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾	٥٢	إبراهيم
١٢	﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾	٢٩	ص

الجدول (٢) خاص بنماذج جملة الإحالة (قصصي).

التسلسل	الآيـــة	رقم الآية	اسم السورة
١	﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾	١٣٠	الأعراف
٢	﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾	٥٢	الأنفال
٣	﴿يَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾	٥١	هود
٤	﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٥	إبراهيم
٥	﴿فَلَمَّا جَاء آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾	٦١-٦٢	الحجر
٦	﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾	١٧	الإسراء
٧	﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٤٣	القصص
٨	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ	٤٠	العنكبوت

	حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾		
٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾	٥٧	الأحزاب
١٠	﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾	١٢	سبأ
١١	﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾	١٣٩- ١٤٠	الصافات
١٢	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ أُوْلَئِكَ الأَحْزَابُ﴾	١٢-١٣	ص
١٣	﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	١٧	ص
١٤	﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾	٥	غافر
١٥	﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾	١٣	فصلت

١٦	﴿وَنَـادَى فِرْعَوْنُ فِـي قَوْمِـهِ قَالَ يَا قَـوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِـي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾	٥١	الزخرف
١٧	﴿وَلَقَـدْ نَجَّيْنَـا بَنِـي إِسْـرَائِيلَ مِـنَ الْعَـذَابِ الْمُهِينِ﴾	٣٠	الدخان
١٨	﴿أَمْ لَـمْ يُنَبَّـأْ بِمَـا فِـي صُـحُفِ مُوسَـى * وَإِبْـرَاهِيمَ الَّـذِي وَفَّـى * أَلا تَـزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى * وَأَن لَّيْسَ لِلأنسَانِ إِلا مَا سَعَى﴾	٣٦-٣٩	النجم
١٩	﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾	٤٨	القلم
٢٠	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾	١٧-١٨	البروج
٢١	﴿أَلَـمْ تَـرَ كَيْـفَ فَعَلَ رَبُّـكَ بِعَـادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَـادِ * الَّتِـي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ﴾	٦-١١	الفجر

المصادر

- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، التصحيح بإشراف: محمد عبد اللطيف، مطبعة محمد علي صبيح واولاده، مصر، ١٩٥٢.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس "نحو النص"، محمد الشاوش، كلية الاداب، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١م.

- انوار التنزيل واسرار التاويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي)، ناصر الدين ابو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المطبعة العثمانية، ١٣٢٩هـ.
- الايضاح في علوم البلاغة، محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن الخطيب القزويني، تحقيق وتعليق: لجنه من اساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الازهر، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، اعادت طبعه الاوفست مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.
- البلاغة والاسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة: محمد العمري، بيروت، د. ت.
- التفسير الكبير المسمى بـ(البحر المحيط)، اثير الدين ابو عبدالله بن حيان الاندلسي الشهير بابي حيان (ت ٧٤٥هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٩هـ.
- التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب)، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، د. ت.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، (ت ٤٠٦هـ)، حققه وقدمه ووضع فهارسه: محمد عبدالغني حسن، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م.
- دلائل الاعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، حققه وقدم له: محمد رضوان الداية، وفايز الداية، مكتبة سعد الدين، دمشق، ط٢، ١٩٨٧م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين ابو الثناء محمود بن عمر الالوسي البغدادي، (ت ١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- صفاء الكلمة، الدكتور عبدالفتاح لاشين، مطبعة النهضة،مصر، ١٩٨٣م.

- فتح القدير، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٢٠هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، د.ت.
- الفروق اللغوية، ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، ط٨، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- قضايا اللغة في كتب التفسير، د. الهادي الجطلاوي، دار محمد علي الحامي، تونس، سوسة، ط١، ١٩٩٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.
- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- لسانيات النص، مدخل الى انسجام الخطاب، محمد الخطابي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١٩٩١،١م.
- اللسانيات والدلالة (الكلمة)، الدكتور منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري، حلب، ط١، ١٩٩٦م.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصر، والدكتور عبد الحليم النجار، والدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي، استانبول، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)، أبو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفي (ت ٥٣٧هـ)، تحقيق: الشيخ مروان محمد، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه وكتب فهارسه: احمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت٦٢٦هـ)، تحقيق: اكرم عثمان يوسف، مطبعة الرسالة، ط١، ١٩٨١م.
- مفهومات في بنية النص، ترجمة: الدكتور وائل بركات، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.
- نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، الازهر الزناد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، [١٤١٤هـ]-١٩٩٣م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين بن الحسن بن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**، شهاب الدين عبدالوهاب النويري (ت ٧٣٣هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د. ت.

البحوث المنشورة في الدوريات

- **المنهج الانثروبولوجي في دراسة مصادر الفكر الإسلامي الاول**، المنصف بن عبد الجليل، الفكر العربي المعاصر، العدد ٦٨-٦٩، ١٩٨٩م.

Abstract

Referral in the style of Quranic stories

Dr. Nawar Muhammad Ismail.*

The referral function is accomplished by avoiding consideration of the linguistic unit isolated to consideration carried out in context. The referring elements are not sufficient for themselves, but rather need to be completed. In their relationship with the textual structures and their influence on the recipient's mind, they establish a multi-indicative indicative system that is used to make communication, it is a movement that enriches the text and reflects the interaction of the mind with the language. Another, intentionally or unintentionally, the aim of the text is to send the effect on the recipient's mind through the semantic richness achieved by the dialogic field between the referral and the transmitted element, and the kinetics of the assumptions in which multiple indications exist.

* Lecturer- Dept. of Arabic- College of Arts / University of Mosul.